

التأويلية البليغة: الخطاب التفسيري في قراءة محمد بازي

Eloquent Hermeneutics:

The Tafsir Discourse in the Reading of Muhammad Bazi

محمد لمين مقroud *

المدرسة العليا للأساتذة الكاتبة آسيا جبار - قسنطينة (الجزائر)

makroud.mohamedlamine@ensc.dz

تاريخ الارسال: 2026/01/05 تاريخ القبول: 2026/04/18 تاريخ النشر: 2026/06/10

ملخص:

عمل هذا البحث على إبراز مفهوم التأويلية البليغة في الممارسة التفسيرية من خلال أعمال "محمد بازي" في مجال التأويلية، هذه الأعمال التي أسست لنموذج تأويلي قائم على فكرة "الاشتغال التساندي"؛ أي التساند بين دوائر صغرى هي البنى النصية، ودوائر كبرى هي البنى السياقية. مع رؤية لمفهوم التأويل تقوم على أنه عملية ذهنية تعمل على بناء معنى النص بالرجوع إلى معطياته النصية ثم ربطه بمعطيات خارجية.

وقد عرض هذه البحث لقراءة "محمد بازي" التي افترضت أن الخطاب التفسيري يقوم على آلية "الاشتغال التساندي"، وحلّل طريقة قراءة "بازي" لذلك الخطاب وطريقة تدليله على فرضيته ثم منهجية بنائه لنموذجه التأويلي اعتمادا على الممارسة التفسيرية.

الكلمات المفتاحية: التأويل البليغ؛ خطاب التفسير؛ التأويل التساندي؛ محمد بازي؛ التأويلية العربية.

Abstract:

This research highlighted the concept of eloquent hermeneutics in Qur'anic exegesis through the works of Muhammad Bazi in the field of hermeneutics. These works established an interpretive model based on the idea of "interdependent engagement," that is, the interdependence between smaller circles (textual structures) and larger circles (contextual structures). This model views interpretation as a mental process that constructs the meaning of a text by referring to its textual data and then linking it to external data.

This research presented Muhammad Bazi's reading, which posited that Qur'anic exegesis is based on the mechanism of "interdependent engagement." It analyzed Bazi's method of reading this discourse, his method of substantiating his hypothesis, and his methodology for constructing his interpretive model based on Qur'anic exegesis practice.

Keywords: eloquent hermeneutic; tafsir discourse; interdependent engagement; Muhammad Bazi; Arabic hermeneutics.

1. مقدمة:

بني الخطاب التفسيري إرثاً تأويلياً كبيراً في آلياته ومعارفه ومنجزاته، وظلّ هذا الإرث صامداً على طول هذا الزمن المديد، ويظهر ذلك الصمود في كونه مرجعاً لا يمكن لأيّ دارس للقرآن الكريم أن يتجاوزه، وفي كونه مصدراً تستقى منه الأفكار في مجالات متعدّدة، ومما زاد في بيان قيمته المعرفية المقارنة بينه وبين البحوث التأويلية المعاصرة حيث أظهرت أن الممارسة التفسيرية كانت عميقة في أسئلتها ومباحثها وتنظيراتها.

وتأتي أعمال "محمد بازي" في مجال التأويلية في سياق النقد للبحوث التأويلية المعاصرة، والسعي إلى تأسيس نموذج يستند إلى الممارسة التأويلية التراثية التي تشكّلت في مجالات أهمها: التفسير، وعلوم القرآن، وأصول الفقه، والشروح الأدبية. واستطاعت أن تقدّم أعمالاً كبيرة نظيراً وتطبيقاً.

نعمل في هذا البحث على بيان وعرض النموذج الذي أسس له "بازي"، مبرزين طريقته في تأسيسها من خلال قراءته للممارسة التأويلية العربية، مركزين على قراءته للممارسة التفسيرية، ومجيبين عن الأسئلة التالية:

- ما سبب اختيار "بازي" للخطاب التفسيري؟ وما المنهجية التي اعتمدها في قراءته؟
- ما مفهوم التأويل في الممارسة التفسيرية في نظر "بازي"؟ وكيف بنى نظريته تلك؟
- ما مفهوم التأويل البليغ وآليات اشتغاله عند "بازي"؟
- كيف يتجلى مفهوم التأويل وآلياته في الممارسة التفسيرية؟

اعتمدنا في هذا البحث على طريقة العرض لقراءة "محمد بازي" للممارسة التفسيرية في جانبها التأويلي، مع التحليل لطريقة بنائها وتشبيدها.

2. الخطاب التفسيري: لماذا وكيف؟

ينطلق "محمد بازي" في العودة إلى خطاب التفسير من رؤية معرفية في العلاقة مع التراث العربي الإسلامي، ترى في التراث العربي الإسلامي مادة خاما من المعرفة عالية القيمة في الميادين الإنسانية المختلفة، فالعودة إليه ستكون احتفاء بمنجزاته وتحريراً له من أسر النظرة التجزيئية، وتأخذ هذه العودة شكل بناء نظريات متماسكة ومحكمة انطلاقاً من منجزاته¹.

اختار "بازي" الخطاب التفسيري في سعيه لبناء مقاربة تأويلية مختلفة عن المقاربات التأويلية السائدة في التعامل مع النصوص والخطابات، وكان هذا الاختيار مبنياً على شروط موضوعية باعتبار الخطاب التفسيري ممارسة تأويلية مكتملة الأركان، فهي من جهة الممارسة أثبتت فعاليتها وإبداعيتها واستمراريتها وهذا هو المطلوب في أي نموذج تأويلي، بل إنها من هذه الجهة قدّمت بلاغة تأويلية أمتن وأوسع وأعرق بكثير مما توصلت إليه التأويلية الغربية، لكنّها من جهة البناء النظري للنموذج لم تكن بذلك الوضوح الذي كانت عليه الممارسة العملية، بل إنّ "محمد بازي" يرى أنّ استراتيجيتها أو طريقة اشتغالها لم يكن مصرّحاً بها في مقدّمات التفاسير، لأنّ القدماء لم يكونوا منشغلين بالأنساق والنماذج بقدر انشغالهم بفهم النص القرآني وإبراز بلاغته².

¹ ينظر، محمد بازي: صناعة الخطاب: الأنساق العميقة للتأويلية العربية، دار كنوز المعرفة، ط1، الأردن، 2015، ص 14، 19، 20.

² ينظر، محمد بازي: التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي للنصوص والخطابات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص 69، 91. ومحمد بازي: صناعة الخطاب، ص 15.

وبما أنّ الممارسة التأويلية التفسيرية قد ضمنت طريقة اشتغالها في ممارستها العملية، فإنّ الباحث الذي يروم معرفة معالم تلك الممارسة ومبادئها النظرية يجب عليه أن يعمل على القراءة العميقة لها، ولهذا يرى "محمد بازي" أن "تحليل الخطاب" هو الخطوة المناسبة للكشف عن ذلك، ويتطلّب تحليل الخطاب جملة من الأمور:

1. القراءة العمودية والأفقية للخطابات التفسيرية: وتحمل هذه القراءة صفتين: العمق والتحليل النقدي، بغرض الكشف عن الأسس العلمية.

2. القراءة التحليلية المنتجة لعلوم القرآن: فهذه العلوم تشكّل المهاد لعلم التأويل العربي الإسلامي، ولنظرية الفهم والتفهم، وحدّدت المقومات الأساسية التي يحتاجها مفسّر القرآن.

3. طول الاحتكاك بهذه المرجعيات (التفسير وعلوم القرآن): ذكر "بازي" أنّ هذا الأمر مهم جداً، إذ لا يكفي في الكشف عن المبادئ النظرية للتأويل التفسيري قراءة عابرة لمرجعياته، بل لابد من قراءات متأمّلة متكرّرة، تعايش تلك المرجعيات وتتذوق لغتها وتتشرّب أسلوبها وتدرك مراميها وأبعادها وتمتلك قبل ذلك كله أدواتها المعرفية (علوم النقل وعلوم العقل وعلوم الآلة).

4. الجهود التحليلية الجماعية: وذلك بتضافر جهود محلّلي الخطاب، فالخطاب التفسيري خطاب ضخم كمّا ونوعاً ويحتاج إلى تضافر عقول تحليلية لتكشف آلياته التأويلية¹.

3. بناء مفهوم التأويل البليغ في الممارسة التفسيرية:

يحدّد "محمد بازي" معنى التأويل عنده بقوله: «التأويل -في تصوّرنا - هو إعادة بناء المعنى النصّي أو الخطابي وبياناه فهما وتفهما، سواء تمّ عبر ظاهر العبارات والألفاظ، أو تمّ تجاوز الظاهر نحو البنيات العميقة للمعنى. والتأويل هو الحقيقة التي يؤوّل إليها الكلام، أي حقيقته الأولية التي يراد تعرّف المخاطبين عليها؛ فالتأويل أوّل المعنى وحقيقته، وفي الوقت ذاته مآله في فهم المتفهمين»².

1 ينظر، محمد بازي: صناعة الخطاب: ص 15، 16.

² محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي: مقدمات لمعرفة بديلة للنص والخطاب، دار كنوز المعرفة، ط2، الأردن، 2020، ص 88

هذا التعريف يجمع ثلاثة أشياء:

1. المعنى اللغوي للتأويل: وهو ما جاء في قول "بازي" من أن "التأويل أول المعنى وحقيقته، وفي الوقت ذاته مآله في فهم المتفهمين"، فإن هذا الكلام يحيلنا على المعنى اللغوي، وقد أخذه من ابن فارس في مقاييسه حيث قال: «(أَوَّلَ) الْهَمْزَةُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: ابْتِدَاءُ الْأَمْرِ وَأَنْتَهَاؤُهُ ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ، وَهُوَ عَاقِبَتُهُ وَمَا يُوَلُّ إِلَيْهِ»¹، ومفهوم الابتداء والانتها في عملية التأويل مفهوم مهم عند "بازي"، فهو سيشكل على أساسه مفهومي في العملية التأويلية وهما "الارتداد" و"الامتداد".

2. المعنى الاصطلاحي للتأويل: وهو ما جاء في قوله: "هو إعادة بناء المعنى النصي أو الخطابي وبيانها فهما وتفهما"، وأهم ما ورد في هذا التعريف كلمة "إعادة بناء المعنى"، وهي تدلّ على أن التأويل عملية تضاهي عملية الإنتاج وتقابلها، فإذا كان المنتج يبني معنى نصّه أو خطابه، فإنّ المتلقي بدوره يعيد بناء معنى النصّ أو الخطاب الذي يتلقاه ولا يجده جاهزا ظاهرا، وهذا الشيء جوهرى في فهم "محمد بازي"، ولهذا يصف العملية بـ "بلاغة التأويل"، لأنه يرى كما أن إنتاج النصوص والخطابات يحتاج البلاغة لأنه بناء، فكذلك تأويل النصوص والخطابات يحتاج البلاغة لأنه بناء أيضا.

3. حدود العملية التأويلية: وهي الطريقة التي تتم بها عملية التأويل، وقد حدّدها بقوله: "سواء تمّ عبر ظاهر العبارات والألفاظ، أو تمّ تجاوز الظاهر نحو البنيات العميقة للمعنى"، فالعملية التأويلية – في نظره – تبدأ بظاهر النصوص والخطابات، فإن لم تحصل على كفايتها من المعنى تجاوزت ذلك الظاهر إلى البنيات العميقة.

هذا المفهوم للتأويل، أخذه "محمد بازي" من الممارسة التأويلية التراثية، وخاصة التفسيرية منها، وسنبيّن كيف استخرج معنى التأويل من الممارسة التفسيرية.

¹ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1972، 158/1.

اعتمد "محمد بازي" في بنائه لمفهوم التأويل في الممارسة التفسيرية على كتابين من كتب علوم القرآن، وهما: البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، حيث نظر إلى معنى التأويل من جهة الأمور التالية:

1. المعنى اللغوي: واستند في ذلك إلى مصدرين:

- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (338هـ): حيث جاء فيه: " قال ابن كيسان: التأويل في كلام العرب ما يؤول إليه معنى الكلام فتأويله ما يرجع إليه معناه وما يستقر عليه الأمر"¹
- مقاييس اللغة لابن فارس (395هـ): حيث جاء فيه: "(أَوَّل) الهمزة والواو واللām أَصْلَانِ: ابْتِدَاءُ الْأَمْرِ وَانْتِهَاؤُهُ ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ، وَهُوَ عَاقِبَتُهُ وَمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ"²

وقد أخذ منه مفهومين للتأويل وهما "الارتداد" و"الامتداد"، يقول: «إن فهم النص القرآني حركة ذهنية ارتدادية وامتدادية في الوقت ذاته؛ فهي ارتداد نحو مرجع ما أو أصل ثابت معروف يبني عليه اللاحق، وحركة امتدادية نحو هدف أو مقصد بناء على وسائط ومؤشرات»³.

2. معنى التفسير والتأويل: اعتمد على تفريق القدماء بين التفسير والتأويل، وقد بين أنه ليس من الأهداف لجميع التعريفات، بل تمحيص الأفهام ومحاولة بناء زاوية نظر، ومن هؤلاء:

- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت: 395هـ): حيث جاء فيه: " الفرق بين التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ، أَنَّ التَّفْسِيرَ هُوَ الإِخْبَارُ عَنْ أَفْرَادِ أَحَادِ الْجُمْلَةِ، وَالتَّأْوِيلُ الإِخْبَارُ بِمَعْنَى الْكَلَامِ. وَقِيلَ: التَّفْسِيرُ إِفْرَادُ مَا انتظمه ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَالتَّأْوِيلُ الإِخْبَارُ بِغُرُضِ الْمُتَكَلِّمِ بِكَلَامِهِ. وَقِيلَ: التَّأْوِيلُ اسْتِخْرَاجُ مَعْنَى الْكَلَامِ لَا عَلَى ظَاهِرِهِ بَلْ عَلَى وَجْهِ يَحْتَمِلُ مَجَازًا أَوْ حَقِيقَةً، وَمِنْهُ يُقَالُ تَأْوِيلُ الْمُتَشَابِهِ ..."⁴.

¹ أبو جعفر النحاس: معاني القرآن، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة، 1409، 351/1.

² ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 158/1.

³ محمد بازي: التأويلية العربية، ص 24.

⁴ أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، دط، مصر، ص 58.

-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت:502هـ): حيث جاء فيه: "والتفسيرُ قد يقال فيما يختصّ بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختصّ بالمعاني التأويل، ولهذا يقال: تفسِيرُ الرُّؤيا وتأويلها"¹.

-الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت:911هـ): حيث جاء فيه: "والتأويلُ ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب المأهرون في آلات العلوم. وَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ الْبُغْوِيُّ وَالْكَوْاشِيُّ: التَّأْوِيلُ صَرْفُ الْآيَةِ إِلَى مَعْنَى مُوَافِقٍ لِمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا تَحْتَمِلُهُ الْآيَةُ، غَيْرَ مُخَالِفٍ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْإِسْتِنْبَاطِ"².

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: "حيث جاء فيه: وقال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ، فهذا يدل على أن فهم معاني القرآن مجال رحب ، ومتسع بالغ ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ، ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل ، والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ، ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر ، بل لا بد منه أولا ، إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ، ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت ، قبل أن يجاوز الباب"³.

أخذ من القول الأوّل لأبي هلال العسكري مفهوم "بناء قصد المتكلم ومعنى النص"، وأخذ من القول الثاني للراغب الأصفهاني مفهوم "النسق" والاهتمام بالكل لا بالأجزاء، وأما القول الثالث فقال عنه: «يدعم هذا الكلام مفهوم التأويل، كما نصّره، فهو جهد ذهني ومهارة في تشييد المعنى، استنادا إلى آلات العلوم ... وذلك بصرف البنية موضوع الفهم إلى معنى محتمل»⁴، وأخذ من القول الرابع للسيوطي اعتماد التأويل على التفسير.

¹ الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تج: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط1، دمشق بيروت، ص 636.

² جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة للكتاب، دط، مصر، 1974،

192/4

³ المرجع نفسه 193/4

⁴ محمد بازي: التأويلية العربية، ص 24.

بمجموع هذه المعاني يكون معنى التأويل، بناء قصد المتكلم ومعنى النص بالنظر إلى نسقه الكلي، باستخدام الجهد الذهني الذي قد يتجاوز ظاهره إلى معان محتملة استنادا على التفسير الظاهر.

3. المعنى الشرعي: والمقصود به المعنى الذي يستخرج من النصوص الشرعية (القرآن والحديث النبوي وآثار الصحابة)

-القرآن الكريم: واعتمد أساسا على قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» [آل عمران: 07]

تطرق إلى اختلاف العلماء في الوقف على قوله تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ» أو على قوله: «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»، وذكر -معتمدا على بعض المفسرين- أن سبب اختلافهم في هذا الوقف راجع إلى اختلافهم في مفهوم لفظ "التأويل" في الآية، فمن قال إن التأويل هنا بمعنى "معرفة حقائق الأمور وكنهها" يوجب الوقف على قوله تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ»؛ لأن الله وحده هو الذي يعرف حقائق الأمور وكنهها، ومن قال إن التأويل هنا بمعنى "التفسير والبيان" يقف على قوله: «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»؛ لأن معرفة البيان وفهم المعنى لا يستلزم منه الإحاطة بمعرفة الشيء.

واستفاد "بازي" من هذا أمرين:

1. أن التأويل له معنيان، قد يكون بمعنى معرفة حقائق الأشياء وكنهها، وقد يكون بمعنى تفسير المعنى وبيانه.

2. استفاد أمرا عمليا، وهو أن العملية التأويلية تقوم على وضع الاحتمالات المناسبة ثم تخريج المعنى على أساسها بترجيح أحد الاحتمالات.

-الحديث النبوي: وأتى فيه بثلاثة أحاديث:

1. ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «القرآن ذلُّوْ ذو وجوهٍ، فاحمِلُوهُ عَلَى أَحْسَنِ وجوهِهِ»، وهذا الحديث ضعيف جداً¹

2. ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «وما من القرآن آيةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وما فيه من حَرْفٍ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ»، وهذا الحديث مرسل²

3. قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم فقِّهْهُ في الدين، وعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، والحديث صحيح³

فمن الحديث الأوَّل أخذ أن التأويل يقوم على تعداد الأوجه المحتملة للمعنى ثم الحمل على المعنى الأحسن الذي يتوافق مع الأدلة النصية الظاهرة والأدلة البعيدة الأخرى.

وأخذ من الحديث الثاني أشياء، فمفهوما "الظهر" و"البطن" يحيلان على مفهومي "المعنى الظاهر" و"المعنى الخفي"، والتأويل هو الوصول إلى الباطن، لكنَّه لا يقوم بذلك إلا اعتماداً على الظاهر. وأما مفهوما "الحَدُّ" و"المطلع" يحيلان على مفهومي "المآل" و"المسار"، ويفهم من ذلك أن التأويل ليس عملية مفتوحة على ما لا نهاية بل إن لها حداً ومآلاً تؤول وتنتهي إليه، كما أنها ليست عملية عشوائية بل لها مسار تسير فيه.

وأخذ من الحديث الثالث أن التأويل يحتاج إلى معرفة واسعة لا تقتصر على الفهم فقط، فابن عباس إنما كانت له هذه المعرفة في باب التأويل لمعرفته بالقرآن أولاً ثم قدرته على الفهم ثانياً ثم معرفته بالأدوات المساعدة على التأويل كالأحاديث النبوية واللغة العربية.

¹ ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/1992م، 3/127.

² ينظر، موقع الدرر السنية، <https://dorar.net/hadith>

³ ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1996م، 6/173.

-آثار الصحابة: حيث أتى بثلاثة آثار:

1. قول أبي الدرداء -رضي الله عنه-: «لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها».
2. قول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن».
3. قول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «القرآن حمّال ذو وجوه».

وقد أخذ من هذه الآثار الثلاثة مفهوماً عن التأويل يتمثل في أنه عملية استخراج للمعاني الظاهرة والخفية، فالنص القرآني بطبيعته متعدّد المعاني والدلالات، والتأويل هو الوصول إلى أكبر عدد ممكن من هذه المعاني.

وسنجد أن المعنى الشرعي للتأويل يؤسس لطريقة العمل التأويلي التي تنظر إلى النص على أنّ له ظاهراً وباطناً، فتبدأ في النظر إلى الظاهر لتجعله منطلقاً لها في النظر إلى الباطن، ثم تقوم بوضع الاحتمالات لذلك الباطن من خلال تثير النص واستنطاق وجوهه المختلفة، ثم الوقوف بعد ذلك عند حدّ معين، وسنجد أنّ كلّ ذلك يستلزم عملاً مهماً وهو الترجيح. وهذا المفهوم جعله "بازي" أحد المفاهيم الرئيسة في بنائه لمفهوم التأويل البليغ في الممارسة التفسيرية، إذ يقول: «إن المعنى المحمول على الظاهر ليس محلّ خلاف، أمّا ما تُجَوِّز فيه الظاهر نحو الباطن، فهو الذي يحصل فيه الاختلاف، ولذلك لابدّ له من دليل؛ فالترجيح بين المعاني وعدم إيفائها حقها من الأدلة المناسبة والقوية هو السبب وراء انحراف الفهم»¹.

4. أنواع التأويل: من الأمور التي أسس عليها "بازي" في بناءه لمفهوم التأويل، حديث القدماء عن أنواع التأويل، فقد جعلوا للتأويل أنواعاً ثلاثة: تأويل مفرط، وتأويل وسطي، وتأويل مفرط. يقول "بازي": «إن التأويل المفرط هو الذي يتجاوز الحدود المعقولة ولا يستند إلى ضوابط، أمّا التأويل المفرط، في نظرنا، فهو الذي لا يبلغ الحد الأدنى من مواصفات التأويل المقبول المستند على اللغة والأدلة النصية والسياقية الكافية، في حين أنّ التأويل المعتدل يحتكم إلى قوانين الاشتغال التأويلي»²، واستند في هذا التقسيم إلى علمين هما: "ابن

¹ محمد بازي: التأويلية العربية، ص 35.

² محمد بازي: التأويلية العربية، ص 34.

القيّم (ت:751هـ) في كتابه "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، و"أبو إسحاق الشاطبي (ت:790هـ) في كتابه "الموافقات".

ويحدّد سمات التأويل المعتدل بقوله: «إنّ التأويل المحمود المقبول، هو الذي يستند على مقوّمات نصيّة وسياقيّة، ومهارات عقلية وأدبيّة وتأويليّة، وهي التي حدّتها علوم القرآن وأصول الفقه»¹.

ووضع هذه السمات بالرجوع إلى علمين هما: "أبو جرير الطبري (ت:310هـ) في كتابه "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، و"جار الله الزمخشري (ت:538هـ) في كتابه "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، وقد أتى بكلام لهذين العلمين في مقدّمة تفسيرهما يؤسسان فيه لقواعد مشتركة للتأويل تمنعه من الإفراط والتفريط رغم اختلاف اتّجاهاتهما، فيخرج بنتيجة بأنّ التأويل الوسطي هو الذي ارتضاه النسق المعرفي العربي الإسلامي في غالبيته.

استنادا إلى الأبعاد الأربعة السابقة (المعنى اللغوي، والتمييز بين التفسير والتأويل، والمعنى الشرعي، وأنواع التأويل) أسس "بازي" مفهوم التأويل البليغ في الممارسة التفسيرية، ونجمل هذا المفهوم في: أن التأويل جهد ذهني في النظر إلى النسق الكليّ للنص من أجل بناء معناه ومقصده، وفق مجموعة من الآليات هي: الارتداد، والامتداد، والاحتمال، والترجيح.

1.الارتداد: عملية رجوع إلى الأصول والنقول والنصوص الموازية.

2.الامتداد: عملية ذهاب نحو دلالة النص ومقصده.

3.الاحتمال: عملية تعميق وتثوير لمعاني النصّ.

4.الترجيح: عملية اختيار لمعاني النصّ المقبولة.

ويختصر "محمد بازي" هذه الآليات في مفهوم موحّد يسمّيه "الاشتغال التساندي"، وهو الذي سنتعرّف عليه في العنصر الموالي.

¹ المرجع نفسه: ص 46.

4. التأويل البليغ: آلية الاشتغال التساندي في الممارسة التفسيرية:

يأتي مفهوم "بلاغة التأويل" أو "التأويل البليغ" عند "محمد بازي" مقابلًا لـ "بلاغة الإنتاج" أو "النصّ البليغ"، فكما أنّ إنتاج النصوص والخطابات تؤطّر البلاغة، فكذلك التأويل والتلقي يجب أن تؤطّر البلاغة، وكلّما زاد النص في تحقيقه للبلاغة كان لزاماً أن تزيد بلاغة التأويل، ومن المصادر التي استند عليها "بازي" في بناء هذا المفهوم مصطلح "بلاغة الاستماع" الذي ورد عند "ابن المقفّع" (ت: 142هـ) الذي قال: «البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة؛ فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل»¹، فـ "بلاغة التأويل" تدخل تحت مصطلح "بلاغة الاستماع".

ويعرّف "بازي" بلاغة التأويل بأنها البلاغة التي يتمكّن عبرها المتلقي من بلوغ قصدية الخطاب، وربط ذلك بدواعي الإنتاج. أو هي إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة للفظ²، ولا يكون التلقي بليغا حتى يتوقّر على أكبر قدر من المعطيات المعرفية، والسياقية، والنصوص الموازية. ويربط أجزاء الخطاب بعضها ببعض، ويملك أجهزة قرائية يدخل فيها النحو واللغة والبلاغة ولا يكتفي بما يقرره النص ظاهراً بل بما يريد أن يقوله³.

ومن أهم آليات التأويل البليغ -عنده- آلية "الاشتغال التساندي" التي تعني "التساند بين مرجعيات متعدّدة: علوم قائمة بذاتها (النحو، واللغة، والبلاغة، والصرف)، وبين المواهب الذاتية العالية في الاستكشاف والتخمين والحفظ، والتنسيق بينها وبين جملة مواد خارجية في شكل معارف موسوعية ترتبط بالخطاب موضوع القراءة بشكل من الأشكال"⁴

فآلية الاشتغال التساندي تقوم على ثلاثة أركان:

¹ الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1997، 1/115، 116.

² محمد بازي: التأويلية العربية، ص 121، 123.

³ المرجع نفسه: ص 123، 138.

⁴ المرجع نفسه: ص 124.

1. معارف نصية (تضطلع بها علوم معينة)
 2. معارف موسوعية (تضطلع بها السياقات المختلفة)
 3. مواهب ذاتية (تضطلع بالتعامل الأمثل مع المعارف النصية والمعارف الموسوعية).
- ومما يستدعي العمل بهذه الآلية أمور:

1. تساندية الإنتاج: إذا كان الخطاب مُنتجاً بطريقة تساندية، بمعنى أن مبدعه قد أنشأه وفق آليات نصية داخلية تراعي السياقات المختلفة، فإن التأويل أيضا يسعى إلى أن يصل إلى تلك التساندية بطريقة تساندية.
2. الفهم وبناء المعنى: ذلك أن الفهم لا يقتصر على الآليات النصية الداخلية، فهو يحتاج في غالب الأحوال إلى أمور خارج النص، وهو ما يستدعي الاشتغال بطريقة تساندية.
3. القابلية التأويلية النص: فإن النصوص مهما اختلفت تمتلك طبيعة تأويلية تتراوح بين "الانفتاح" و"الانغلاق"، فهي لها قابلية لتعدد المعاني لكن هذه التعددية لها حدود ونهاية، ولا يمكن الاشتغال على الطبيعة النصية إلا بطريقة تساندية.

الدوائر التساندية:

يحدّد "بازي" مفهوم الاشتغال التساندي بربطه بمفهوم محدّد هو "دوائر التأويل الصغرى والكبرى"، حيث يرى أن كل اشتغال تساندي هو مراوحة تأويلية بين الدوائر الصغرى والكبرى للنصوص والخطابات.

الدوائر الصغرى: وهي مجموع البنيات الجزئية المؤدية للمعنى (اللغة، النسق النحوي، النسق البلاغي، القراءات...)¹، تمثّل منطلق العمل التأويلي، ويبدأ الاشتغال فيها بالجانب المعجمي ثم الجانب التركيبي، وربط كل ذلك ببعضه ببعض.

الدوائر الكبرى: وهي البنيات الكلية التي تنفتح عليها البنيات الجزئية السابقة (سياق النص، النصوص الموازية، نص الثقافة...)².

¹ المرجع نفسه: ص 50.

² ينظر، المرجع نفسه: ص 50.

التعاقد التأويلي:

يبرز مفهوم "التعاقد التأويلي" باعتباره مفهوما جوهريا تقوم عليه الآلية التساندية، وهو مجموعة من المبادئ والتصورات والمعايير للعملية التأويلية يحددها النسق الثقافي¹، وهذا التعاقد هو الذي يحدد طريقة التأويل، ويحدد بعد ذلك التأويلات المقبولة وغير المقبولة استنادا إلى ذلك العقد.

ويقوم التعاقد على مفهوم آخر وهو "السلطة"، فكل عقد لابد له من سلطة مرجعية، والسلطة هنا هي "ما تحقق من إجماع المتخصصين بمجال تأويلي محدد (التفسير، الشروح، النقد، القانون، أصول الفقه...) باتفاق أو شبه اتفاق حول قضايا معينة، أو مجموعة معطيات معرفية"². وتستمد هذه السلطة شرعيتها من طبيعة النصوص وحقائقها.

الممارسة التفسيرية التساندية:

يرى "بازي" أن "الطرح التساندي هو الشكل الأكثر حضورا في الخطابات التأويلية العربية القديمة"³، والخطاب التفسيري أبرز ممثل للتأويلية العربية القديمة، وإن كان هذا الخطاب لا يصحّ بوضوح بهذا الطرح التساندي إلا أن المتفحص له سيكتشفه حاضرا، يقول "بازي": «وخير مثال يمكن أن يقدم في هذا الصدد الخطابات التفسيرية، فداخل الكل المتشابه العناصر يجد المتأمل المتفحص نظاما دقيقا في الاشتغال؛ هناك حركة تساندية دائبة داخل الخطاب التأويلي؛ فاللغة تعمل في تعاون مع النحو والبلاغة، ويعمل الاشتقاق إلى جانب اللغة والنحو والبلاغة. وتحضر القراءات لتسند دلالة نحوية أو بلاغية، وتعبّر النصوص القرآنية والحديثية والشعرية إلى القراءة التأويلية لتسند تخريجا دلاليا. وفي أحيان أخرى تطعم أسباب النزول والأخبار المعنى. وتلعب الإسرائيلية دور التوسيع لما هو

¹ ينظر، المرجع نفسه: ص 143.

² المرجع نفسه: ص 143.

³ المرجع نفسه: ص 150.

مختزل. وفي كثير من الأحيان تعبر إلى الخطاب التفسيري مادة غزيرة من الآراء الفقهية والأمثال وغيرها¹.

يظهر "بازي" في النص السابق كيف أن الممارسة التفسيرية تُراوح بين الدوائر الصغرى والدوائر الكبرى للنص القرآني، وكيف أنها تعتمد على المعارف النصية المباشرة ثم المعارف الموسوعية.

كان مفهوم "التعاقد التأويلي" حاضرا بشكل كبير في الممارسة التفسيرية، وكانت قيمة التفسير تعتمد في جانبها الأكبر على احترام ذلك التعاقد وعدم الحيدة عنه، كما كان معيار وزن التفاسير ونقدها يقوم على مدى قربها أو بعدها من التعاقد، ولذلك نجد المفسرين يستبعدون كثيرا من التفاسير ويذمونها ولا يدخلونها في المجال التداولي التفسيري لعدم احترامها لذلك التعاقد، كما أن هناك تفاسير أخرى تخضع للموازنة فيجد الناقدون أن جانب احترامها للتعاقد أكبر من جانب إخلالها به، فتكتسب قيمتها من الجانب الأول ويحذر منها في الجانب الثاني، ويضرب "بازي" لهذا النوع من التفاسير "تفسير الزمخشري" ف"علماء القرآن والمفسرون يتفقون في خروج الزمخشري عن التأويل المسموح به من وجه نظر هذه السلطة، وذلك بتطبيق آرائه الاعتزالية على آيات الصفات ... ومع ذلك ظلت للبلاغة التأويلية للزمخشري تأثيرات واضحة في مجال فهم النص القرآني وبناء معانيه، حتى على الخصوم أنفسهم؛ لأنه أوفى بالكثير من شروط التعاقد التأويلي على المستويات اللغوية والصرفية والنحوية والبلاغية والفقهية والعلمية الأخرى التي لا يجادل في أهميتها سني ولا معتزلي، فأثبت لنا صلاحية تعاقدته وسلامته في كثير من المناحي"²

يظهر لنا ما سبق أن فكرة التعاقد التأويلي تؤسس لحد أدنى مشترك في الممارسة التفسيرية لا يختلف عليه المشتغلون بها وإن اختلفت مشاربهم ومذاهبهم، وهذا ما أثبتته "بازي" الذي أجرى تحليلا لعمل مفسرين لسورة الفاتحة هما: "الزمخشري" (538هـ) وابن كثير (774هـ)، وخرج بنتيجة أن المفسرين يشغلان بالطريقة نفسها من حيث احترام أسس بناء المعنى في النص القرآني، فكلاهما يعتمد على آلية الاشتغال التساندي بالنظر إلى

¹ المرجع نفسه: ص 146.

² المرجع نفسه: ص 143، 144.

الدوائر النصية أولاً ثم توسيع النظر في الدوائر السياقية، ففي تفسير سورة الفاتحة اعتمد المفسران المداخل والموازيات نفسها تقريباً، ففي مجال الدوائر الصغرى أو النصية اعتمدوا مداخل متشابهة هي: (المدخل اللغوي، والمدخل الصرفي، والمدخل النحوي، والمدخل البلاغي، ومدخل القراءات)، وفي مجال الدوائر الكبرى أو الموازيات السياقية اعتمدوا الموازيات نفسها هي: (معطيات حول السورة، الموازيات القرآنية، الموازيات الحديثية، قول الصحابي، الشواهد الشعرية، وموازيات أخرى مثل الإسرائيليات والأمثال وآراء المذاهب...)، كل ذلك الاتفاق لا يلغي اختلافاً يظهر في شكل خصوصيات نابعة من التوجه المذهبي أو الغنى المعرفي أو الرؤى الفلسفية والشخصية الخاصة.¹

والأمر نفسه ينطبق على التفاسير النقلية والعقلية، فكلاهما يستند إلى الآلية التأويلية نفسها وإن ظهرت غلبة جانب على جانب، ف"بالإمكان إبراز آليات عمل ثابتة ومشتركة، وكذا مبادئ وأنساق معرفية في أي خطاب تأويلي بمنأى عن خصوصية هذا التوجه أو ذاك، وبالأخص فيما يتعلق بالتطالب والتساند".²

وتأسيساً على ما سبق يجمل "بازي" آلية الاشتغال التساندي في الممارسة التفسيرية في جانبين هما: 1. البنى النصية، 2. البنى السياقية.

البنى النصية: وهي جملة العناصر البانية للنص، أو المشيرات المشكلة لافتراضات دلالية، وآليات هذا المستوى عديدة أهمها³:

1. اللغة: وتعني:

- ضرورة إلمام المفسر بمعاني المفردات على مستوى الوضع.
- أن أول عتبات القراءة والتأويل هو التحليل اللغوي.
- أن اللغة قطب الرحي بين أجهزة التأويل وأدواته، تنطلق منه بقية الآليات الأخرى، مثل الصرف والاشتقاق والنحو والبلاغة.

2. الصرف والاشتقاق: وتعني:

¹ ينظر، المرجع نفسه: ص 159 إلى 188.

² محمد بازي: صناعة الخطاب: ص 51.

³ ينظر، المرجع نفسه: ص 52 إلى 66.

- ضرورة معرفة المفسّر بأبنية الكلمات وموازينها وصيغتها.
- الاشتغال التأويلي يبدأ من الجزئيات النصية في انفصالاتها واتّصالاتها وعلائقها (البنى والتصريفات المختلفة لها، والعلاقة بين دلالة هذه التصريفات)
- الاشتقاق والتصريف محطة مهمة في بناء المعنى وتوجيهه.

3. النحو والإعراب: وتعني:

- ضرورة معرفة المفسّر بالوجوه الإعرابية المختلفة.
- أن إدراك العلاقات التركيبية بين المفردات محطة ضرورية في العملية التأويلية.
- تمييز المعاني والوصول إلى الأغراض يرتكز في جزء كبير منه على النحو والإعراب.

4. البلاغة: وتعني:

- ضرورة معرفة المفسّر بفنون البلاغة وأساليبها.
- العملية التأويلية تبدأ في الإزياح عن الظاهر إلى المقصود مع تشغيلها لآلية البلاغة.
- آلية البلاغة تمكّن من تفعيل الاحتمالات الممكنة والتعامل مع التعبيرات غير الحقيقية.
- مفاتيح التأويل كامنة فيها؛ لأنّها تدرك تغيّرات المعنى وتلويناتها المختلفة.

5. القراءات: وتعني:

- ضرورة معرفة المفسّر بالقراءات القرآنية.
- القراءات في العملية التأويلية تعمل على تتبع تغيّر المعنى بتغيّر اللفظ.
- تعدّ آلية لتثوير المعاني وتعداد الاحتمالات الدلالية.
- تعدّ آلية من آليات الترجيح بين المعاني.

البنى السياقية:

ويقصد بها الجهد المعرفي القائم على استحضار المواد السياقية الخارجية التي يستدعيها القارئ المفسّر للفهم وبناء المعنى وتدوينه في خطاب التفسير. ومن أهم آلياتها¹:

1. أسباب النزول: وتعني:

- أنها بمثابة تاريخ للنص، تبيّن سياقاً واقعياً أو تاريخاً غائباً.

¹ ينظر، المرجع نفسه: ص 66 إلى 86.

-تعدّ آلية لبناء المعنى وتوجيه الدلالة.

-تعدّ آلية للترجيح بين المعاني.

2.النصوص الموازية: وتعني:

-كلّ ما يدخل ضمن أدوات صناعة خطاب التأويل من نصوص تستدعي لبناء معنى، أو

توضيح قصد، أو كشف معنى خفيّ.

-أهم النصوص الموازية: سور وآيات قرآنية، أحاديث نبوية، أقوال الصحابة، الأشعار

والأمثال وغيرها.

-لابدّ للمفسّر من ذخيرة نصيّة، أو معرفة موسوعية تستدعي عناصرها حسب الحاجة.

3.الشاهد الشعري: وتعني:

-استعمال الشاهد الشعري لتخريج دلاليّ معيّن، وكذلك للاحتجاج على معنى معيّن.

-الشاهد الشعري له دور هامّ في تحريك آلية التأويل باستثمار حركة المعاني المختلفة

التي يحملها.

4.الإسرائيليات: وتعني:

-أنها آلية مهمة لتفصيل المهمات وإيضاح المجملات، خاصة في باب القصص القرآني.

-أنها آلية لبناء المعاني وتوضيح ما سكت عنه القرآن.

-أنها جزء مهم من خلفية المفسر المعرفية الدينية.

5.عقيدة المفسّر: وتعني:

-أنّ المفسّر قد يدخل عقيدته في عملية التأويل وينطلق من قناعاته الذاتية والمذهبية،

ويبحث فيه عمّا يسندها، ويوجّه معاني القرآن لبناء خطاب مذهبه.

الخاتمة:

رأينا في هذا البحث نموذج التأويلية البليغة عند "محمد بازي" الذي قرأ من خلاله

الخطاب التفسيري وخرج فيه بنتيجة عامة مفادها أن الممارسة التفسيرية تقوم على رؤية

تأويلية تساندية بين بنية نصية وبنية سياقية. وفي عرضنا وتحليلنا لهذه القراءة خرجنا

بالنتائج التالية:

1. أن اختيار "بازي" للخطاب التفسيري كان لكونه خطاباً تأويلياً مكتمل الأركان.
2. أن "بازي" انطلق في قراءته ببناء مفهوم التأويل في الممارسة التفسيرية، واستعمل في ذلك طريقتي التأصيل والتركيب، أسسه على مجموعة من الأمور هي: المعنى اللغوي، والتفريق بينه وبين مصطلح التفسير، والمعنى الشرعي، وأنواع التأويل.
3. يقوم مفهوم التأويل في الممارسة التفسيرية بحسب "بازي" على أربعة مفاهيم هي: الامتداد، والارتداد، والاحتمال، والترجيح.
4. التأويل البليغ -عند بازي- يأتي مقابلاً للإنتاج البليغ، فكما يحرص المنتجون للنصوص والخطابات على بلاغتها، فكذلك يجب أن يحرص المؤولون لها. ونفهم من هذا المصطلح أيضاً أن التأويل والفهم في آلياته يشبه الإنتاج في آلياته، وكلما كان التأويل مقارباً لآليات الإنتاج كان تأويلات أقرب وأقدر على فهم النص.
5. يرى "بازي" أن أهمّ تعبير عن التأويل البليغ يظهر في آلية الاشتغال التساندي، وهذه الآلية تقوم على ثلاثة أركان هي: معارف نصية، ومعارف موسوعية، ومواهب ذاتية.
6. يرى "بازي" أن أكثر مجال تراثي يقوم على مفهوم التأويل البليغ وتظهر فيه "آلية الاشتغال التساندي" هو الخطاب التفسيري.
7. يرى "بازي" أن الممارسة التفسيرية للتأويل تتأسس على ثلاثة أمور:
 - أ. التأويل النصّي: وله آليات مثل: اللغة، والتصريف، والتركيب النحوي، والبلاغة، والقراءات.
 - ب. التأويل السياقي: وله آليات مثل: أسباب النزول، والنصوص الموازية، والشواهد الشعرية، والإسرائيليات.
 - ج. المؤول البليغ: وله جانبان: جانب المعارف (أن يكون متمكناً من الآليات النصّية والسياقية)، وجانب الملكات (أن تكون له الملكات العقلية الأساسية مثل: الحفظ والاسترجاع والوصف والمقارنة، وكذلك الملكات العقلية العالية مثل: التحليل، والنقد، والاستدلال، والتجريد، والتأمل أو يمكن أن نجمها في القدرة على التدبر والتفكير).

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1972.
2. أبو جعفر النحاس: معاني القرآن، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة، 1409.
3. أبوهلال العسكري: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، دط، مصر.
4. الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1997.
5. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة للكتاب، دط، مصر، 1974.
6. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط1، دمشق بيروت، 1412.
7. محمد بازي: التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي للنصوص والخطابات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010.
8. محمد بازي: صناعة الخطاب: الأنساق العميقة للتأويلية العربية، دار كنوز المعرفة، ط1، الأردن، 2015.
9. محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي: مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، دار كنوز المعرفة، ط2، الأردن، 2020.
10. ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1996م.
11. ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/1992م.
12. موقع الدرر السنية، <https://dorar.net/hadith>